مناقشات

الاستنتاجات الخاطئة في الاغلاط الشائعة

بقلم عبدالله نيازي

لم يكن الوعي القومي قبل اكثر من عشر سنوات خلت على ما هو عليه اليوم من استقطاب وتبلور وشمول ، وليس من شك في ان الفرد العربي نتيجة لوجوده وسط مجتمع متفسخ الى حد التهرؤ ومخدر برواسب ضخمة من التناقضات العميقة ومكبل بعادات وقيم فرضت عليه من الخارج فرضا ، اقول كان الفرد العربي نتيجة لهذا كله يحيا حياة عقيمة ، فارغة الى ابعد حدود الفراغ ، اتكاليا في اكثر إعماله ، لا اباليا في اغلب تصرفاته ، انعزاليا لا يحس بالمسؤولية ولا يشعر بها ولا يدرك ان عليه دورا او واجبا يقوم به تجاه نفسه وتجاه مجتمعه..

وما من شك في ان اسباب كل هذا الركام من الفساد والتفسخ والتناقض والرواسب تعود الى اكثر من خمسة قرون مضت وما رافقها من اهوال انصبت على الوطن العربي كله فمزقتـه عـلى النحو الذي ورثناه ، ومزقت الفرد العربي وجعلته اشبه ما يكون بالمسخ الذي لا يعي ذاته ولا يحس وجوده .. ولعـل ابرز شيء يعزى اليـه تقويض الشخصية العربيـة واماتة الروح الانسانيـة فيها هو دور التوجيـه الاستعماري في ذلك بشكليه الظاهر والباطن .. فقد كانت اولى خطط الاستعمار واهمها تركيزا ابعاد الفرد العربي عن التحسس بقضاياه العامة ، واماتة الوعي القومي لديه وتجريده من الروح العربية الاصيلة او مسخها على الاقل ، وتحطيم كيانه النفسي لكي ينمو الفرد على النحو الذي يراد له ان ينمو ، ضعيف الكيان ، هزيل الشخصية ، فاقـد الاحساس ، محطم النفس ، مضطرب الذهن ، غير مكترث لواقع مجتمعه الغارق في البؤس والشقاء ، وغير ملتفت لعملية الهدم التي تسري في كيان وطنه العربي كله ، ولا لاي شيء اخر سوى ان يدور في دائـرة تضيق ثم تضيق دون ان يدري لماذا !.. لا يهمه شيء سوى ان يحقق نوازعه الذاتية المغلقة ويرضي شهواته البدائية سواء كان ذلك عـلى حساب مجتمعه او حساب وطنه ، لا يهمه ذلك بقدر ما يهمه تحقيق مآربه المتفسخة ..

وبما ان الاديب او الشاعر او الفنان هم أفراد من هذا المجتمع لا يمكن بحال ان ينفصلوا عنه او يورثوا أشياء غير موجودة ، لذلك فقد كانوا يعيشون تناقض مجتمعهم بكل صوره وألوانه ، او انهم ، بصورة ادق ، قد فتحوا عيونهم على مثـل هـذه التناقضات الضخمة والقيم المتآكلة العفنة . والانقسام الكبير في كل شيء فاصيبوا بما يشبـه التشاؤم من كل ما يجري ويقع ، والسخط على كل ما يجري ويقع .. ونتيجة للفراغ العقائدي الفكري الذي كان يسود الوطن العربي كله آنذاك ، اللهم سوى نداءات ضعيفة كانت تنبعث بين الحين والحين مندرة محذرة ولكنها لم تكن تملك القوة الكافية لاحداث الرجة المطلوبة، فقد انكمشوا على انفسهم وانغلقوا على ذواتهم يستمدون منها رؤى ضبابية وأخيلة مبهمة لا تعبر عن واقع ولا تفصح عن كيان ، في حين اندفع البعض الاخر، وقد استطاع بانعزاليته الكبيرة عن واقعه ومجتمعه ان يكتب ادبا صرفا منبعه اللجين الذي يسيـل من القمر كالفضـة وزغردات البلابل العذبة في السحر ، وهمسات القبـل بين أغصـان الياسمين .. فكانت المعارك الادبية (العنيفة) التي تنشب انذاك تدور في أحسن الاحوال حول ايهما ابلغ تشبيها : القمر المثقل بحمولة العنبر، ام الاسياف التي هي ليل تتهاوى كواكبه ..

ثم ان تلك النداءات بدأت تتعالى رويدا رويدا في الوطن العربي كله ، نداءات قوية صريحة جريئة تحاول بكل ما لديها من تمرد وثورية ان تملأ ذلك الفراغ الرهيب الذي يشكو منه الفرد العربي فتعيد لـه كيانه وشخصيته وذاته .. ثم بدأت الاحداث تتتابع على الوطن العربي، احداث ضخمة وهائلة كانت بمثابة الهزة العنيفة للفرد العربي ، هزة جعلته يقف من كل تلك التناقضات التي يحياها مجتمعه موقفا متحديا ثوريا الى حد ما .. فبدأ اول ما بدأ يعي كيانه ويعي ذاته ، ويدرك انه كائن حي له الحق في ان يحيا الحياة الحرة الكريمة ، وبمـا انـه يعيش وسط مجموعة من البشر تربطه بهم روابط تاريخية وحياتيـة كثيرة متداخلة ومتشابكة لا تنفصل ولا تنفصم ، تقاسي نفس الانسحاق الوجودي الذي يقاسيه وتعاني ذات المصير المشترك ، فقد ربط مصيره بمصيرها واندفع متحديا الظلم والطغيان والارهاب .. وليس هنا مجال للبحث في مدى شمول هذا الوعي وعمقه ، ولكن البداية الصميمية ذات الاسس القوية والجذور السليمة تؤدي حتما الى النهاية الطبيعية المرتقبة ..

فالفرد العربي اذا بدأ يعي ذاته ويعي وجوده فانتفض ليحقـق كيانه .. فما هو دور الاديب او الشاعر او الفنان في هذا الزخم من الوعي الوليد ؟.. هل يقف امام هذه الاحداث الضخمة المتلاحقة والوعي المتنامي لا اباليا انعزاليا وكأن الامر لا يعنيه ام انه يدرك واجبه كانسان يتمتع بمقدار كبير من الاحساس والثقافة فيتقدم ليأخذ دوره ويشارك الجموع الزاحفة نحو النور مصيرها المشترك الواحد ؟.. فيعمل عـلى ازالة ما تراكم على الذات العربية من صدأ الصقه بها واقع فاسد وماض مشوه ، ويسهم في البناء الذي يحتمـه عليه كل شيء فيـه وحوله .. هل يفعل ما ينبغي عليه ان يفعل كفرد قيادي يتمتع بقـدر كبير من الثروة الذهنية والنفسية فيسهم مع الشعب في معركته الكبرى ضد الفساد والطغيان والارهاب والكبت والتناقض الطبقي والاجتماعي والسيطرة الاحتكارية والاستعمارية والتجزئة المفروضة عـلى وطنـه العربي ام يظل على خدره اللذيذ في دورانه حول نفسه وذاته ؟!..

اجل ، لقد وجد بعض الافراد من الادباء انفسهم فجاة امام هذا الزخم من الاحداث الضخمة المتلاحقة فاغرتهم الرجفة وما عادوا يدرون اي شيء يصنعون .. أيظلون غارقين في اجوائهم الضبابية التيصنعوها لانفسهم وتشاؤميتهم التي استقوها من ذواتهم ، ام يندفعون ليأخذوا مكانهم في البناء ويؤرثوا الحقد المقدس في الجموع الثائرة على كـل ما هو فاسد لا انساني ؟.. ان لزغردة البلابل جمالا ، وللمعان النجوم جمالا ، ولكن البناء ايضا جمال ، ومشاركة الجموع مسيرتها الكبرى نحو الخير والحق جمال اكبر ، فماذا يفعلون ؟..

لقد وقع بعضهم في تناقض نفسي كبير فلم يعودوا يدرون معه اي شيء يصنعون ، فلا هم يملكون الثروة الذهنية العميقة ولا الاستعداد النفسي حتى يواجهوا هذا الزخم من الوعي القومي الجارف ، ولا هم يرتدون جلودا غير جلودهم ويكتبون عن الوعي العربي والكيان العربي كتابات هابطة كل سطر فيها يصرخ بالكذب والتزوير الصارخ لمتقـد لا يحس به قائله ولا يشعر به اطلاقا . في حين انطلقت الطليعة الثورية تعمق بكل ما لديها من عطاء وقابليات وخصب وتحرق وتمزق نضـال هذه الامة وترسم للجموع الزاحفة الى هدفها الكبير طريقها الشاق الطويل ..

*

وبعد ، فلست ادري اذا كانت هذه المقدمة السريعة المختزلة للواقع الذي كنا نعيشه وواقع الاديب بالذات تصلح ان تكون بدءا للتساؤل فتقول : هل ان الشاعرة الفاضلة نازك الملائكة قد التفتت الى هـذه النقاط او الى بعضها بشيء من التجرد او انها وضعتها امامها ثـم توصلت بعد ذلك كله الى ان التزام الاديب او الشاعر او الفنان لقضايا مجتمعه ووطنه والانسانية جمعاء وتبني هذه القضايا جميعها على نحو

متكامل لا تنفصل عن كيانه ووجوده دعوة منحطة منشؤها شيوعي روجها كثير من القوميين ببراءة وحسن نية ؟..

لقد كنت اخمن وانا اقرأ مقال الشاعرة الفاضلة انها ستتناول بشيء من التفصيل الواقع المؤلم الذي نعيشه ودور الاديب في الاثارة والقيادة والبناء ، ولكن لم اجد سوى بعض الاستنتاجات الخاطئة لمقومات هزيلة لست ادري كيف توصلت اليها الشاعرة الفاضلة .. ذلك لانها تعلم تماما دور اقلام كثيرة سواء كانت شرقية ام غربية ، لعبت دورا كبيرا ويكاد يكون رئيسيا في التخلص من ظلم كبير وطغيان رهيب وعبودية شنيعة كانت تسيطر على وطنهم وشعبهم وذلك قبل ان يكون للشيوعية كيان ، فهل يصح ان نقول عن اولئك المفكرين العظام الذين استطاعوا بما لديهم من امكانيات ذهنية كبيرة وطاقات ثورية عظيمة ان يلتزموا قضايا امتهم ووطنهم ويقودوا شعبهم الى الثورة والتمرد والانطلاق ، إنهم منحطون يكتبون ادبا هابطا ؟

ثم ، اذا اردنا ان نأخذ الموضوع بشيء من التجرد ، فكيف نستطيع ان نصم اديبا يلتزم قضايا معينة قد تكون اخلاقية او حياتية او حتى جمالية صرفة انه اديب منحط يكتب ادبا هابطا ؟

ان الدخول في مثل هذه الناحية من الموضوع قد يقودنا الى بحث ذهني فنتوصل بعد تدليلات كثيرة ان اصرار الاديب في ان يلتزم اي نوع من المشاكل المطروحة او القضايا العامة وفي ان يبقى حرا حريه مطلقة هو بحد ذاته التزام .. وهل تستطيع الشاعرة نفسها ان تنكر انها تعنى بلون واحد من الشعر ؟ ثم هل تستطيع الشاعرة ان تكتب ادبا لا اخلاقيا ؟ بالتأكيد لا .. لماذا ؟.. لانها ترفض اللا اخلاقية وتعتبرها منافية للحياة ، ولكن لماذا تعتبرها كذلك ؟

احسب ان الموضوع من الشمول والعمق بحيث لا يسمح لاي فرد كان ان يطلق عليه احكاما اعتباطية على النحو الذي وقعت فيه الشاعرة.

وليس هذا فقط ، ففي المقال تناقضات تجعل القارىء يتساءل بألم اين هي ثقافة الشاعرة الفاضلة التي كان يجدها في اغلب ما تكتب واين هو تجردها وموضوعيتها ؟.. ذلك لان القارىء يدرك منذ بدئه قراءة المقال ان الشاعرة تعتمد على افكار ساذجة روجها بعض المهووسين الذين لا يعتد بهم ولا يمكن ان تتخذ اقوالهم نماذج تقاس عليها .. فهي تقول مثلا ان من جملة الاغلاط الشائعة في تعريف الادب القومي ان أغلب كتابنا قد دخل في وهمهم ان الاديب اذا تناول قضايانا القومية تناولا مباشرا عدوه اديبا عربيا واما اذا لم يكتب في تلك (الموضوعات) فانه في نظرهم ليس اديبا قوميا .. والخطأ في هذا الاستنتاج انه ليس صحيحا ان كل من كتب في القضايا القومية عد اديبا قوميا يتحسس بعمق قضايانا العامة والخاصة ويعي دوره في تجسيد اماني امته وامالها في الحياة الحرة الكريمة .. فالاديب العربي مطالب قبل كل شيء في الا يقحم نفسه في قضايا لا يحسها ولا يشعر بها اطلاقا ، والا يمتهن نفسه بالمناداة بمبادىء لا يؤمن بها ، فالذات العربية النقية ليست بحاجة الى مزور او دجال او مرتزق يتقمص الثوب القومي لغايات دنيئة فلديها من روحها العميقة وتراثها الضخم خير معين تمتح منه ، ولكن الصحيح ، وهو الاستنتاج الذي توصلت اليه الشاعرة وارادت ان تعيده على نحو معكوس — ان الاديب غير (العربي) والذي يكتب في قضايا (معينة) مفروضة ، غريبة ، بغض النظر عن كونه صادقا او كاذبا ، دجالا او منافقا هو وحده الذي ينظر اليه من قبل (فئة معينة) على انه اديب اجتماعي .. اما ان يعد كل اديب يكتب في القضايا القومية اشياء هزيلة كاذبة ، اديبا قوميا ، فسذاجة لم ينادِ بها سوى اولئك الذين فقدوا توازنهم النفسي والذهني ، وقد اشرنا الى امثال هؤلاء في غضون هذه الكلمة .. ولكن الشاعرة الفاضلة قد اتخذت اقوالهم الهزيلة تلك على انها هي السائدة المتمكنة ولست ادري كيف استطاعت ان تفعل ذلك .

ثم ان الشاعرة سرعان ما تبلغ ، نتيجة لتلك الكتابات الهابطة الى هذا التساؤل الملح : وهل فقد الاديب العربي روحه القومية اذا هو لم يكتب على الاطلاق في قضايانا القومية ؟.. ومن قال انه يفقدها .. ان الروح العربية لا تفقد اطلاقا ، انها رغم كل الشوائب والمؤثرات الغريبة تظل في لمعانها واشراقها ، لانها تستمد كل قوتها من روحها الاصيلة .. ولكن السؤال في رأيي يطرح على هذا النحو : هل بامكان الاديب العربي ، وهو يعيش بكل وجوده وكيانه هذه التجربة الضخمة التي يمر بها وطننا العربي في انطلاقته الرائعة نحو النور وتوكيد الشخصية العربية ان يظل في عزلة عن واقع امته ومصير وطنه ؟.. فلا يصل اليه التمرد ولا تعرف الثورة طريقها اليه وكأننا لسنا في معركة ضارية مع الطواغيت ووحوش المستعمرين ؟!.. اذا استطاع فهل هو حقا فرد يعيش فوق ارض عربية وانجبته ام ممزقة الاوصال مطعونة بالف نصل ؟.. اي شيء اكون اذا كانت لا تهزني ولا تثيرني ولا تحرك فيّ انسانيتي الجرائم البشعة التي يرتكبها الوحش الفرنسي في الجزائر العربية منذ عام ١٨٣٠ ، والمجازر الرهيبة التي يمارسها الاستعمار الانكليزي في وطننا العربي كله منذ عشرات السنين حتى الان ، في حين توقظ في كل احاسيسي ومشاعري رؤية كلب مختلط بدمائه دعسته سيارة في قارعة طريق ؟

ان الانعزالية التي تسيطر على بعض الادباء هي ليست وليدة يومها ، كما انها ليست طارئة . انها نتيجة ذلك الركام الضخم من الظلام الذي ورثناه ، الاحداث المرعبة التي حاولت ان تقضي على كل ما فينا من تفتح وانطلاق .. ان معركتنا الان معركة ضارية .. معركة وحشية بكل ما تحمل هذه الكلمة من معان . معركة بين الموت والحياة ، بين الجمود والانطلاق ، بين التحجر على قيم متوارثة دخيلة والتفتح المطلق على الوجود الرحب .. والاديب المرهف ذو الاحساس الكبير هو قائد هذه المعركة ومؤرث اوارها فكيف يتنكر لكل ما هو محاط به ؟!

كم كنت اتمنى لو ان الشاعرة الكبيرة قد تروت قليلا في كتابة

هيروشيما حبيبي ...

مأساة الحرب .. والحب !

قصة رائعة بقلم مارغريت دورا اخرجت في فيلم ما يزال يثير حتى اليوم ضجة كبيرة في اوساط العالم ويشهد اقبالا لم تعرفه الا افلام رفيعة نادرة .

ولم يسبق لقصة ان عبرت كهذه القصة تعبيرا دقيقا رائعا عن الصلة التي تربط بين الحب والحرب من حيث عنصر الفاجعة .

والواقع ان المؤلفة قد وفقت توفيقا كبيرا في رسم نفسيتي الرجل الياباني والمرأة الفرنسية اللذين يعيشان هذه المأساة : مأساة الحرب .. والحب !

الثمن ١٥٠ ق.ل — منشورات دار الاداب

هذا المقال بالذات ، او في الكتابة عن الوعي القومي ، أو في الاشياء التي لا تمسها .. فلو انها ظلت تكتب عن البعد الرابع مثلا ، او عن المعاني الرائعة في الشعر الشعبي لظلت كتاباتها على ذلك المستوى من العمق والموضوعية ، ولكنها شاءت ان تقحم نفسها في اشياء لم تحسها فوقعت في مثل تلك التناقضات الساذجة ، ولعل اجمل تناقضاتها قولها : « لعل اصدق الادب قومية هو الادب الذي لا يدري انه قومي » فمثل هذا الاستنتاج المضحك يقودنا الى ان نقول : ان ميزة الفرد العربي هي انه لا يدري انه عربي ولا يدري بعد ذلك انه يكتب ادبا عربيا .. في مسرحية لموليير يقول احد الاشخاص لآخر هازئا ما معناه : ان الكلام ينقسم الى قسمين شعر ونثر وانت تتكلم النثر ، ففرح صاحبه فرحا عظيما وقال : وهل انا اتكلم النثر منذ اربعين عاما ولا ادري !..

ان قبول فكرة ان اصدق الادب قومية هو الادب الذي لا يدري انه قومي تحمل في غضونها نكتة ضخمة لعل الكاتبة الفاضلة لم تقصدها .

وبعد ، فليس هذا كل ما ورد في المقال من استنتاجات خاطئة ولكنا في رأينا قد تعرضنا لاهمها .. ونرجو مخلصين الا نكون قد اغضبنا الشاعرة الكبيرة ، فهي شاعرة ولها مكانتها المرموقة في نفوس الادباء والشعراء العرب ولن يزعزع مكانتها هذه شيء سواء كتبت شعرا قوميا ام لم تكتب .. ولكن الذي نرجوه منها ومن اولئك الادباء الذين يكتبون في القومية وهم لا يحسونها احساسا قويا صادقا ان يتجنبوا الكتابة فيها . حتى يتم التفاعل العميق والتجاوب الصادق بينهم وبين واقعهم ، وحينذاك فقط سيدركون انهم قد وعوا ذاتهم واصبح لوجودهم في الحياة معنى غير زائف ..

بغداد — عبد الله نيازي

حول فعال « المهزومون ومشكلة التكنيك »

بقلم كمال ابو ديب

في مقابلة صحفية مع هاني الراهب مؤلف « المهزومون » بمناسبة فوز الرواية بجائزة « الاداب » .. تحدثنا عن ابعاد المعالجة الروائية .. حديثا صريحا .. وناقشنا قضية « التكنيك » فيها (١) كما ناقشنا مضامين الرواية بشكل مفصل ، وقد احطت بظروف الرواية احاطة تكاد تكون تامة .. سواء من خلال صداقتي مع هاني .. والاوقات الطويلة التي عشناها سوية ، اومن خلال حياتي مع ابطالها جميعا .. واطلاعي التام على اعماقهم النفسية .. ومشاكلهم الحياتية ، التي تغلغل فيها المؤلف بعمق ، وكشفها في روايته « المهزومون » واعتقد بان هذا يسمح لي بان اناقش ناقدا احب ان يكتب عن « المهزومون » في الاداب ويصمها بأشياء تكاد تكون كاشفة لتهجم عميق ولهجة عدائية عنيفة .

قال الناقد : « ان الفكرة الرئيسية التي تدور حولها « المهزومون » هي حب « بشر » « لسحاب » ، ولكننا نظلم هاني الراهب اذا قلنا انه لايقدم غير هذه الفكرة ، بل ، على العكس ، ان في روايته اشياء كثيرة وقصصا عديدة ، ولكن المهم ان نعلم ما مدى ارتباط هذه الاشياء بالفكرة الرئيسية ومساهمتها العضوية في بناء الرواية » ..

ومن هنا بالذات ينطلق السهم الخاطيء من جعبة الناقد ، ذلك ان تحديده للرواية بهذا الشكل الضيق .. ومحاولته لاستقصاء الافكار والقصص التي يراها ثانوية .. ومحاولته لتبني « مدى ارتباطها بالفكرة الرئيسية ومساهمتها العضوية في الرواية » .. هو مكمن الخطأ ...

فالخطأ ينبع أولا من تحديده للفكرة الرئيسية « بانها قصة حب بشر لسحاب » .. وهذا ماقاده الى الحكم الخاطيء على الاحداث الاخرى.. حيث رأى ان موت الام ، برغم اعترافه بروعة الفنية ، شيء دخيل على الرواية .. وغير نافع للبناء العضوي بل ومضر لانه يكشف ، لصدقه الحار ، افتعال المواقف الاخرى ..

ف « المهزومون » ليست ، كما فهم الناقد قصة حب بشر وسحاب .. بل ليست هذه الفكرة الرئيسية فيها .. انها قصة جيل كامل .. جيل رافض ، حمل صليبه وهو واثق من ان رفضه سيجعل منه جيل الذبيحة..

وهو واثق من رفضه سوف يصطدم بموروثات اجيال السكارى .. وسوف يؤدي بالتالي الى صراع عنيف يأبى هو فيه ان يستسلم ويتراجع ويأبى المجتمع الذي ينخر فيه الدود وموروثات العفونة ان يعترف له بقيمة رفضه .. ثم هي قصة هزيمة هذا الجيل ، هزيمته « التي ليست هي الا نتيجة للالتحام الاول بينه وبين مجتمعه وبين طبيعته التي رباها فيه هذا المجتمع ، وبين ذلك الفراغ العقلي الذي يشعر به بعد فقد ايمانه ، فالانهزام ، خصوصا انهزام بشر ، كان نتيجة لمحاولته خلق مفاهيم جديدة للقيم السابقة ، لمحاولته اعطاء كل حادثة قيمة تتمشى مع فرديته وكونه جديدا » انها « قصة شباب يشعرون بانهم مجردون عن قضية يحملونها ، وانهم في هذا السن الوثاب « وهم شباب جامعة » مطلوب منهم ان يكونوا بلا عمل يقومون به ، لذلك حاولوا كسر الطوق الاجتماعي والسياسي الذي ضرب حولهم ، ليطردوا عنهم ذلك الهرم النفسي الذي ابتدأ يأخذ بتلابيبهم » ..

هكذا نكون قد انكرنا ان الفكرة الرئيسية هي حب (بشر وسحاب) ونكون قد تخلصنا من الخطأ الفاحش الذي وقع فيه الناقد ، اذا انه بهذا يحكم على الرواية كلها بالفشل .. حين يحاول ان يجد « مدى تغذية الحوادث كلها للفكرة الرئيسية » .. وهو لن يجد شيئا ، لانه اخذ الفكرة الرئيسية وحددها بشكل خاطيء .. اذ في هذه الحالة ما هي قيمة حب (فايز لواحة) او (واحة لبشر) او لماذا يتدخل دريد وصالح في القصة او ما هو السبب الذي من اجله ادخلنا ملك وهلال فيها ؟! كل هذه الاشياء لا يبقى لها لزوم في حالة كون الفكرة الرئيسية قصة حب « بشر وسحاب » ..

اذن حب « بشر وسحاب » لم يكن الا احدى الزوايا التي حاول هاني ان يعبر بها عن قصته ، عن فكرته الرئيسية التي شرحناها سابقا .. والمأخوذة من كلام هاني بالذات لي ، وهي تماما ، مع تفاوت في القيمة ، زاوية تعبيرية مثل قصة فايز وواحة ، وواحة وبشر ، وصالح ودريد وغيداء ، وهاني — بشر واخوته وموت امه .. ان كل حدث من هذه الاحداث يشكل زاوية التقاط تعبيرية تزيد من قيمة القصة وتزيد في كشف اعماق الابطال .. مثلا لناخذ قصة الام التي رآها الناقد، زيادة لا لزوم لها .. انه ببساطة يستطيع ان يكتشف ان قيمتها تنبع من رد الفعل العنيف الذي أحدثته في نفس البطل .. انه يستطيع، بعد ان يفهم ان الرواية ليست رواية « حادثة » بقدر ما هي رواية « شخصية » ان يرى لموت الام قيمة في الكشف عن أعماق واحة حينما تموت ، ويكون قد اخبرها بأنه دفن امه في التلة الشرقية الباردة ، رمز البطولات والنقاء ، فتوصي هي بأن تدفن في التلة الشرقية الباردة ، هذا بالرغم من ان موت الام سابق لموت واحة .. (١)

الشيء الثاني الذي نناقشه هو وقوع الرواية في الذهنية التجريدية ..

قال الناقد عن شخصية سحاب ، مستشهدا على وقوع الرواية في الذهنية التجريدية « انها شاحبة الى حد مريع ، اننا لا نعلم شيئا عنها من حياتها هي وتصرفاتها هي . كل ما نعلمه عنها يأتينا من خلال اذهان الابطال الاخرين ، او من خلال المناقشات القديمة الباردة ، او

(١) راجع مجلة « المعارف » العدد الثاني شباط ١٩٦١

(1) راجع مقال حيدر حيدر « موت الام » في نفس العدد

من خلال الالسنة التي تريد ان تنال من سمعتها ، اي انها لا تتكشف لنا من خلال الحدث بل من خلال الحوار ، والحوار الفكري الصرف ، اننا نعرف افكارها مثلا من خلال المناقشة التي جرت بين طلاب الجامعة في قاعة الموسيقى حول الخجل في علاقات الجامعيين» ..

ونحن نسال الناقد ما هو « التصرف » بالنسبة للشخصية القصصية .. أليس الحوار « تصرفا » ، أليست الحركة «تصرفا» ، أليس لقاؤهما في المكتبة والصف وغرفته، وعلى ضفة النهر، ومناقشاتهما ودعوته لها الى الحفلة ، وذهابها الى مصر ، وتجولها هناك ، أليست كل هذه الاشياء من تصرفاتها هي ؟!.. اذا كان نعم .. فكيف يقول انها لا تتكشف من خلال « تصرفاتها » هي ؟!.. ثم هل يعني ان الرسم بالحوار عيب في القصة ؟!.. ثم يذكر خطبتهما الطويلة ويقول .. انا اعلم ان مثل هذه الخطبة الطويلة لا تكفي وحدها دليلا على ذهنية الرواية ، ولكن الشخصية الروائية تقع في الذهنية والتجريد عندما لا يكون لدى الكاتب من وسائل يقدمها بها الينا غير هذه الخطب ؟!..

ترى ألا يتناقض مع نفسه هنا ؟!.. يقل هنا « ان ليس لدى الكاتب وسيلة الا هذه «الخطب» بينما قال سابقا « انها تتكشف لنا من خلال اذهان الابطال الاخرين او من خلال المناقشات الفكرية الباردة، او من خلال الالسنة التي تريد ان تنال من سمعتها » .. ترى أليست هذه « وسائل اخرى غير الخطب ، يملكها هاني لكشف شخصية سحاب» ثم أليست تصرفات سحاب في الصف ، وطلب المحاضرات ، وموقفها عند حضور ابن خالتها ، وتلقيها لاحتوائه فخذها بين فخذيه و(تصرفاتها) التي عددناها سابقا .. كشفا لخطأ الناقد في ادعائه بأن الكاتب لا يملك غير هذه الخطب ليكشف لنا الشخصية ، ثم أليس نفينا لرأيه واثباتنا بأنه يملك وسائل غير الخطب ، نفيا لرأيه بأنها وقعت في الذهنية لانه هو يقول « ان الشخصية تقع في الذهنية حين لا يكون لدى الكاتب من وسائل غير الخطب يكشفها بها لنا » ..

ثم هل لنا ان نسأله لماذا اثبت الخطبة بهذا الشكل مع انها متقطعة .. وغير متصلة هكذا في الرواية ؟!.. ثم لماذا لم يتحدث عن جو الخطبة . حيث كانت سحاب سكرانة .. ومن المفروض فيها ان تنطلق وتثور بهذا الشكل العنيف لتحاول ان تنفس عن صدرها ، ولتبرر الف موقف لها بالنسبة لبشر ؟!

اما قوله عن امتداد الذهنية الى المواقف من الشخصية ، واستشهاده بتقيؤ بشر في حفلة المولد فأنا لا استطيع ان أفهم كيف فصل بين «بشر» الشخصية في الموقف وبين الموقف .. اما استغرابه لتقيؤ بشر فلن اجيب عليه لانني استغرب كيف ان الناقد لا يدرك بأن وراء تقيؤ البطل هنا عشرين عاما من حياة وتطورات واحداث وكفر وايمان ومقت لرجال الدين وحركاتهم وهيئتهم المزرية في موقف كهذا.. وانه ليس وليد قراءة لسارتر او كولن ويلسون .. او لانه « اراد ان يدين هذا النوع من الحفلات » ذلك لان وصفه للحفلة ولرجال الدين كان كافيا ، بحد ذاته لادانتنا بل كافيا ليجعل القارىء يتقيأ ، استغرب كيف لم يدرك جورج طرابيشي ان وراء (غثيانه) عمرا كاملا لشاب ملحد، متطور ، جامعي ، شاك في كل شيء، متمزق، عاتب، ثائر على موروثات اجيال السكارى ، والدين، والشيوخ ، شاب يأتي الى حفلة المولد ليجد « تلوي البطن والرغوة والسكر و..و..!!.. » ثم لا يتقيأ ، غريب!..
اما عن رأيه في ان ازمة بشر ازمة جنسية قبل كل شيء .. فيكفي ان اقول له انه اجرم بحق « المهزومون » وبحق جيلنا باكمله.. لان ازمتنا يا عزيزي ليست ازمة جنسية بقدر ما هي ازمة وجود ضائع .. وشباب بلا قضية .. ولا نبي جديد .. ولا ايمان .. ولا قيم انسانية ولا مجتمع يفهم ازمتنا الحقيقية ، او يقدر بانها ليست ازمة جنسية فحسب ..

ثم كان ينتفي لدى الناقد شيئان هما ذهنية الرواية « في رفضه لامتلاك جسد ثريا» و« كون ازمته ازمة جنسية » لو لاحظ انه كان يشعر مع ثريا بنوع من الشعور الانساني الذي يخلقه فيه كونها اصبحت عادية ، عنده شيئا لازما لحياته ، تغسل، تكوي، تطبخ، تحن عليه، تحقق له اطمئنانا نفسيا طيبا ، ثم صاحبة مشكلة ينفس بها من حقده على المجتمع الذي هو ثائر عليه والذي هو خالق مشكلتها ، وهكذا ، لو لاحظ انه لم يمتلكها الا عندما سكر وشرب نبيذا وجوزا .. لفهم اشياء كثيرة ثم كيف يكون بشر في جميع مواقفه حريصا على ان يظهر بمظهر الانسان الاخلاقي الذي لا تعيبه شائنة ، كما قال الناقد، وهو الانسان الرافض الذي يقول « ان كل القيم تنبع عني انا ، » والذي يقول « ان الزنا في رأيي لا يشكل تلك الجريمة الاخلاقية ، بل هو نوع من الاستجابة الانسانية اذا صدر عن ارادة المشتركين به ، ولا يعد جريمة ساعتها لان كل ما هو في طبيعة الانسان قانون ..» كيف يحدث ما قاله الناقد ، وهو ــ بشر ــ الانسان الذي يتزوج من مطلقة ، (عاهرة) في عرف المجتمع .. ثم امام من يحرص على الظهور بمظهر الانسان الاخلاقي ما دام يرى ان المجتمع صفر ؟..

يبقى شيء مهم اخيرا .. هو نفي الناقد لصفة الواقعية في الرواية بل وتجهيله للكاتب بهذا المبدأ .. وردا على كل ما قاله في هذه الفقرة اقول له :

حول رفضك لقبول شخصية ملك التي تتحدث مع « سلفها » بتلك الطريقة انصحك بان تأتي لنعيش مع براءة الناس الطيبين وشرفهم في القرية .. وانا اكتب اليك الان من قرية انا ابنها .. واسمح لي ان اقول انني خبير اكثر منك .. بها .. وان استنكارك لها يصح تماما في قولك « انها لا وجود لها في عالم دمشق » .. وهذا صحيح لانك انت سابقا استغربت وجود نوع من الشعور الانساني في علاقته بثريا ورفضه لتملك جسدها هي ولسحاب وواحة .. وانت من عالم دمشق بالذات !..

كمال ابو ديب ــ صافينا

عدد « الاداب » الممتاز

تقدم « الاداب » في مطلع العام القادم ، ١٩٦٢ ، على مألوف عادتها كل سنة ، عددا ممتازا في موضوع :

الاتجاهات الفلسفية في الأدب المعاصر

وسيكون حافلا بالدراسات العميقة التي تتناول بحث مختلف النزعات الفلسفية كما تظهر في الآثار المعاصرة للاداب العالمية .

حول مقال «من المأساة الى الملحمة»

بقلم حسين علي صعب

استهل الاستاذ جورج طرابيشي دراسته عن شعر خليل حاوي بالبحث عن اسباب الغموض في الشعر الحديث وخاصة شعر الشاعر فقرر : « غموض شعر خليل راجع الى انه لا يستطيع ان ينظر الى الاشياء الا بدهشة ، لانه كشاعر لا يستطيع الا ان يفترض نفسه انه يراها للمرة الاولى .. هذا الغموض يرجع الى سبب داخلي ، سبب مرتبط بطبيعة الرؤيا عند الشاعر المعاصر هذه الرؤيا التي تعتبر مغامرة .»

ولست ادري لم لم يبحث الناقد عن جذور هذه الرؤيا لدى الشاعر وعن التربة الثقافية النفسية التي تغذيها وتمنحها حدودها وابعادها . هذه الثقافة المنصهرة في ذاتيته هي التي جعلته ينظر الى الاشياء ، لا بعين الدهشة وكانه لم يرها من قبل كما يزعم ، بل بعين حولتها تلك الرؤيا الى عدسة دجراجة ليس بامكانها ان تنقل ، فيحالة الانفعال الداخلي ، صور الاشياء كما هي في وجودها الحسي الجامد باطرافها وملامحها ، بل في وجودها النسبي . ولولا ثقافة خليل واندماجها في تجربته الوجودية - نهر الرماد - الناي والريح ، لما رافقته حيرته القاسية الناتجة عن وعيه العميق للكون والمصير فيما يحاول ، في صراعه مع الوجود ، ان يحدد قيمة ترتاح اليها ذاته الباحثة عن هويتها . ان اختلاف نظراتنا الى الحياة راجع الى النوافذ التي يفتحها وعينا لنطل منها على الكون ، هذا الوعي الذي يستمد قدرته من ثقافتنا المنحلة في مناخنا النفسي .

وقد اكتفى الكاتب بتحليل بعض قصائد « نهر الرماد والناي والريح » دون تعمق وجهد ، ففي - البحار والدرويش - لم يكتشف تمزق ذاتية الشاعر من خلال طرحه لمشكلة التناقض الكائن في القيم بين الشرق والغرب . فالبحار يمثل الانسان الغربي المغامر بحياته في سبيل اكتشاف المجهول والحصول على المعرفة العلمية :

بعد ان عانى دوار البحر
والضوء المداجي عبر عتمات الطريق
ومدى المجهول ينشق عن المجهول عن موت محيق
نشر الاكفان زرقا للغريق .

والشرق المستغرق في روحانيته يتمثل في الدرويش الغائب عن حسه في حلقات الذكر . هذا الدرويش الزاهد القانع الكسول يفني حياته في العبادات والتصوف المفضي الى معرفة دينية لايمانه المطلق بان الحضارات مصيرها الزوال .

دوختهم حلقات الذكر فاجتازوا الحياة
حلقات حلقات
حول درويش عتيق
شرشت رجلاه في الوحل وبات
ساكنا يمتص ما تنضحه الارض الموات

وبعد ان يحط البحار في ارض الشرق ، ارض الاساطير والحانات والنخيل ، ارض الرطوبة والراحة المخدرة للاحساس ، يسال الدرويش عما اكتسبه من تحديقه الموغل في سجف الغيب :

- هات خبر عن كنوز سمرت
عينيك في الغيب العميق .

فيجيبه الدرويش بانه قابع في مطرحه ، وبان حضارته ليست سوى فورة طين سيطمرها الزمن كما طمر غيرها من الحضارات :

- فورة في الطين من آن لآن
فورة كانت اثينا ثم روما ..

ثم لا يلبث البحار ان يتركه في جموده يتمضغ احلامه وصلاته ويبحر يائسا . ولكن ابحاره ، هذه المرة ، ليس وليد الرغبة في فض حجب المجهول وانما هو هرب من مواجهة العبث : فالمنارات اطفئت والاضواء ماتت ورغم هذا كله سيظل يكافح في ظلمة الوجود من غير غاية بطولية او دينية .

مبحر ماتت بعينيه منارات الطريق
مات ذاك الضوء في عينيه مات
لا البطولات تنجيه ولا ذل الصلاة .

هنا تتوتر مأساة الشاعر النفسية وتبلغ ذروتها ، لضياعه بين متناقضات الكون من معطيات العقل المادية ورؤى الروح الوهمية . ايها يختار بعد ان تبدى له مصيره المحتم برطوبته وتحجره ، وبعد ان تأكد من زواله الحتمي لكونه انسانا واعيا يمر في الوجود ثم لا يلبث ان يعود الى عناصره الاولى .. انه التمزق الدامي بين الرفض والاختيار عاناه الشاعر في قصيدة البحار والدرويش ثم وجد طريق الخلاص منه، بعد تنكره للعقل ، في الغريزة اللاعاقلة القادرة وحدها على خلق (رجال اقوياء الصلب نسلا لا يبيد يحيلون الجدب الى خصب ممرع والعتمة الصفيقة الى اشراق دافق يتشل الشاعر من وحدته وظلمة حيرته .

وفي قصيدة - الناي والريح - يعاني الشاعر تجربة الصراع المحتدم بين العاطفة المنسابة في شحوب وحزن من انين الناي ، والعقل الهائج في ثورة الريح . هنا في صراع الذات مع نفسها يلجأ الشاعر الى الشعر كوسيلة للخلاص والنجاة .

بنت جبيل — حسين علي صعب

صدر

الجزء الثالث من

مجموعة التشريع اللبناني

توزيع مكتبات انطوان

هـــذا التجريح ...

بقلم حسب الله الحاج يوسف

قرأت بألم في عدد الآداب الفائت ردا جامحا موجزا ، كتبه الاستاذ ايليا الحاوي متهما الدكتور احسان عباس ، بشتى التهم . رافضـــا مقاييسه التي يقول عنها انها « عمودية متعفنة ولهجتها تفتقر الـــى كثير من التواضع ومعرفة قدر النفس . » .

اني كقارىء لمجلة « الآداب » منذ نشوئها اعرف جيدا ان قراءها ان لم يستطع بعضهم تحريك القلم وسكب افكاره على الورق ، فانهم رغم ذلك واعون ، وبعيدون عن منطقة الغشامة . انهم يميزون الجيـــد من الرديء ، ويعرفون مكانة كل كاتب ، بحكم النوعية التي اكتسبوها من صداقتهم لهذه المجلة .

ان الاستاذ ايليا الحاوي ، مع احترامنا واعجابنا ــ كقراء ــ لما يكتب وينشر من بحوث نقدية لها ميزتها وطريقتها قد اسرف كثيرا في كلمته هذه القصيرة ، في ظلم الدكتور احسان عبـــاس . لماذا ؟ لان الاستاذ احسان لم يوافقه في نقده لشعر نزار القباني ، والذي رده الدكتور سهيل ادريس « الى راي خاص » من آراء الناقد ذاته ... فلماذا يقرر الاستاذ ايليـــا ويدين ويتهم ويدفـــع الآخرين ، ويثور ويعربد عندما يعارضه أي كاتب .. وكاتب معروف بالامانة والاتزان ؟!

اننا نذكر جيدا ان الاستاذ احسان حينما قال في العدد السابع (تموز) من السنة السابعة للآداب ، في سياق نقده للشعر : « ارجو الا يكون الدكتور سهيل ادريس قد اخطأ حين وكل الي قراءة هذا العدد» نذكر ان المجلة قال محررها في هامش ذاك النقد «تتمنى رئاسة التحرير ان يتولى مراجعة الاعداد دائما امثـــال الدكتور عبـــاس من النقـــاد والدارسين المتعمقين . « الآداب » » .

ان هذه الشهادة من الآداب تعتبر بمثابة قرار محكم ضد الذين ينقدون ، ويقيمون نتاج الاخرين بلهجة ساخرة ، وفي نفس الوقت يرفضون هم ان يتعرض احد الى ما يكتبون .

ومع ذلك يقول الاستاذ ايليا حاوي : « لقد انفت ان اتواقع مـــع الدكتور واتكلف بالرد عليه؟ فاي خير يرجى من التصدي لناقد لا موضوعي ينصب نفسه قاضيا للموضوعية ، ولا يحرج من التصريح بعد سنين من الدرس والتدريس ، بان الشعر .. الخ »

فاي الرأيين نعتمد : راي مجلة الآداب التي تعتز بان يراجعهـــا امثال الدكتور احسان عباس من النقاد الدارسين المتعمقين ، أم رأي الاستاذ ايليا الحاوي ؟

والاستاذ ايليا غفر الله له رغم انه انف كما يقول عن مواقعة الدكتور ، وانه يعف عن الرد والمناظرة لانهما ــ كما ذكر ــ يؤديان فـــي النهاية الى التجريح ، وما الى ذلك مما لا يسيغه ، الا انه رجـــع في نهاية كلمته ونقض الانفة والتعفف مبررا ذلك بقوله : « وانما اردت ان اشير هذه الاشارة ليدرك القراء في اية هاوية يتردى اولئك الذين افادوا من غفلة الشعب ، لينصبوا انفسهم اوصياء على الشعر والنقد، جميعا ، وكم في عـــالم الادب العربي من طبول تطن وصنوج ترن ، ولا فضيلة لهـــم الا التمرس بتحقيق الاوراق الصفراء ورصد الاذيال والحواشي ، وتاليف الكتب المنهوبة عن النقاد الاجانب ! »

فانظروا يا قراء الآداب الى هذه الانفة ، والعفة والسمو الخلقي !
اننا يا استاذ ايليا من قراء هذه المجلة ، ونفخر باننا عاصرناهـــا منذ ولادتها ، وقد علمتنا الكثير واستفدنا كثيرا من الثقافة والخبرات التي قدمتها لنا ، يقظة الضمير ، والمحاسبة ، والامـــانة والصدق والاخلاص ، وهذا يجعلنا نومىء الى بحثك الذي نشر بعدد ايلول السنة التاسعة ١٩٦١ حول ديوان الشاعر العربي الكبير الاستاذ بدر شـــاكر السياب « انشودة المطر » والذي نظرت اليه بمفـــاهيم غريبة جعلت قصائده كلها صورا تراكمية في ذهن تجريدي مطلق ، وانها قصـــائد لا رحم ولا اوصال لها تستثير القـــارىء بانفعال حمـــاسي ، عصبي سياسي ، وحتى قصيدته « مدينة بلا مطر » التي تناولها الاستاذ محيي الدين محمد في عدد الآداب الثاني عشر ١٩٥٩ ، « رموز ترنيمة قديمة» ووصفها بانها عمل عظيم « والعمل العظيم يعلن عن نفســـه ، ويكشف رواءه لحظة وحيدة وعبقرية ، وهذا العمل الشعري الجدير بالدراسة، سيظل الى اجيال بعيدة مقياسا لارتباط الوعي والاخلاق والجمـــال بالحس البطولي والانسائي والاسطوري في الفرد الشرقي الحديث ».

هذه القصيدة العميقة الجيدة قلت عنها انت يا استاذ ايـــليا « قصيدة « مدينة بلا مطر » اذ تكنى الشاعر ببابل عن العراق ، بتمـوز ثمن الحرية ، وحيث اقام جنازة ومناحة ستر بهما عجزه عن الرؤيـــا الصادقة التي تمثل شاشة تنعكس عليها ابعاد الوجود . »

وبعد انه لاكيد ان الذي يقول هذا عن شعر السياب سيقول اكثـــر من ذلك في سياق الدفاع عن الدكتور احسان عباس . ولكن العبـــرة ليست في الاقوال التي ترمى على عواهنها ، وانما العبرة في وعي قراء الآداب الذين يميزون ويقرأون ويفهمون ويهضمون ويستوعبون ، ومـــن حقهم بعد ذلك ان يتتبعوا ويراجعوا ويحاسبوا ويحتضنوا كتابهم الذين يمدونهم بالغذاء الصالح .

مع احترامي في النهاية وتقديري للاستاذ ايليا الحاوي .

بور سودان — **حسب الله الحاج يوسف**

ترقبـــــوا

عدد الاداب الممتاز

الذي يصدر في مطلع العام الجديد ١٩٦٢
في موضـــوع :

الاتجـاهات الفلسفية
في الادب المعاصر

يشترك في تحريره نخبة من مفكري الطليعة
في الوطن العربي